بل يستعمله الناس عندهم ويتعارفونه عندهم إلى أن قال له الملك أرأيتنا ما يأتي به
الأنبياء إذا ادعيتنا أنه ليس بكلام الناس ولا إنهم من كلام الله هو فقال الحكيم نعم
قال الملك وكيف يطيق الناس حمله فقال الحكيم إنا رأينا الناس لما أرادوا أن
يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون من تقدمها وتأخيرها وإقبالها وإدبارها
لم تحتمل الدواب والطير تحمل كلامه فوضعوا لها من النقر والصفير والزجر ما عرفوا أنها
تطيق حمله وكذلك الناس يعجزوا أن يحملوا الكلام الله كحقيقته بكلامه وصفته فصاروا فيما
تراجعوا بينهم من الأصوات التي سمعت بها الدواب من الناس ولم يمنع ذلك معاني الحكمة
المخبوءة في تلك الأصوات من أن تشرف الكلام بشرفها وعظم بتعظيمها وكان
الصوت للحكمة جسدا ومسكنا والحكمة للصوت نفسا وروحا فكما أن أجساد
البشر تكرم وتعز لمكان الروح التي فيها والكلام عالي المنزلة رفيع الدرجة
قاهر السلطان نافذ الحكم من الحق والباطل وهو القاضي العادل والشاهد المرتضى
يأمر وينهى ولا طاقة للباطل أن يقوم قدام كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل أن يقوم
قدام شعاع الشمس ولا طاقة للبشر أن ينفذوا غور الحكمة كما لا طاقة لهم أن
ينفذوا بأبصارهم ضوء عين الشمس ولكنهم ينالون من شعاع الشمس ما تحيا به أبصارهم
ويستدلون به على حوائجهم فالكلام كالملك المحجوب الغائب وجهه الشاهد أمره
كالشمس العزيزة الظاهرة مكنون عنصرها وكالنجوم الزاهرة التي يهتدى بها
من لا يقف على مسيرها فالكلام أعظم وأشرف من ذلك وهو مفتاح الخزائن النفيسة
وباب المنازل العالية وشرائع الدرجات الرفيعة التي ديمة وشراب الحياة التي
من شرب منه لم يمت ودواء الأسقام الذي من سقي منه لم يسقم إذا البسه لم يبتلح
به أبدا عورته وإذا تسلح به غير أهله لم يخرج إلا منهم نقلنا هذا نقلا من كلام الصديق
الحكيم الذي خاطب به الملك واستغنينا بالله بإذن الله عز وجل فهذا وصف كلام الله عز
وجل الذي جعله لنا آية وعبرة ونعمة علينا ورحمة بنا فانظر إلى الحكيم كيف جعل عقول
البشر في فهم كلام الله العظيم بمنزلة أفهام البهائم والطير والبقرة والصبي إلى عقول
البشر وكيف جعل النقر والصفير والإفهام من الناس للأنعام والإفهام مثلا لما أفهم
الله به الأنام من معاني كلامه الجليل بما أفهمهم به من الكلام الذي جرى لطيفه لما
يشاء إنه هو العليم الحكيم فهذه قرية لطيفة من قدرته التي لا تتناهى وحكمة
محكمة من حكمه الذي لا يطاق يعني أنه حكيم عليم تنزيلا لتتنهى العبد لأنه مقصود بجميع
القرآن والحكمة التي خلقت مرامه وعلى لسانه خاطب إقبال الله وبيده جميع ذكره وأوصافه
لأن الله سبحانه وتعالى لما تكلم بهذا الكلام وخاطب به المؤمنين كان هو واجدهم وكان
حاضرا معهم ونزهوا به إذ عز وجل بين المؤمنين في تنزيل القرآن عليهم وبين النبي
صلى الله عليه وسلم لمعنى من المعاني فقال واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم

من

من الكتاب والحكمة يعظكم به كما قال لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم وكذلك قال
وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم وقال كذلك يبين الله للناس أمثالهم
ويضرب مثلهم وقال ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات كما قال لقد أنزلنا إليكم آيات
بينات وقال عز وجل واتبع ما يوحى إليك واصبر ثم قال اتبعوا ما أنزل
إليكم من ربكم وقال فاستقم كما أمرت ومن تاب معك غيره لأنه سبحانه عم الجملة قال
بالبيان والبيان وخص بالهدى والرحمة أولى التقوى والإيمان فمن ذلك قوله
عز وجل هذا بيان للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون هذا بيان للناس وهدى
وموعظة للمتقين فالموقنون هم المتقون والمتقربون هم المؤمنون وقد أمر بالطلب
فيه القرآن كما أمر فقال فيتلاوته

ورويناعن نبيناصلى الله عليه وسلم

اقرؤوا القرآن والتمسوا غرائبه وقال ابن مسعود من أراد علم الأولين والآخرين فليثور
القرآن ومن حديث علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثني
بالحق ليفترقن أمتي عن أصل دينها وجماعتها على اثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة
يدعون إلى النار فإذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله عز وجل فإن فيه نبأ ما كان قبلكم
ونبأ ما يأتي بعدكم وحكم ما بينكم من خالفه من الجبابرة قصمه الله ومن ابتغى العلم
من غيره أضله الله هو حبل الله المتين ونوره المبين وشفاؤه النافع عصمة لمن تمسك
به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقام ولا يزيغ فيستقيم ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق كثرة
الرد هو الذي سمعته الجن فما تناهت أن تولوا إلى قومهم منذرين فقالوا يا قومنا
إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن تمسك به
هدي إلى صراط مستقيم وقد روينا معناه في حديث حذيفة لما أخبره
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاختلاف والفرقة بعده قال فقلنا يا رسول الله ماذا
تأمرني إن أدركت ذلك فقال تعلم كتاب الله عز وجل واعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك قال
فأعدت عليه فقال تعلم كتاب الله عز وجل واعمل بما فيه ففيه النجاة ثلاثا وعن
علي رضي الله عنه قال ما أسر إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا كتمته
عن الناس إلا أن يؤتي الله عبدا فهما في كتابه وعنه رضي الله عنه أنه قال ومنهم من يسر
حمل العلم وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله عز وجل ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا قال الفهم في كتاب الله عز وجل وقال ففهمناها
سليمان وكلا آتينا حكما وعلما يرجع الفهم فيما لا يوقف الحكم والعلم وأضاف إليه التخصيص
وجعله وقفا لأعلامهما وكلا قد علمناه ثم ما أفهم العبد الكلام وعلم ما يراد المولى تحقق منه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)